﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النّمل: 79]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

التَّوَكُّل عَلى اللهِ تَعالى موجِبٌ لِلاطْمِئْنان وراحَة البالِ

لمّا ذكرَ اللّهُ سُبْحانه أنَّه يَقْضي بينَ المُخْتَلِفين في أمرِ القرآنِ الكريم؛ فرَّع عليه أمرَهُ النَّبيَّ ﷺ بأَنْ يَطْمَئِنَّ بالًا، ويتوكَّل على ربِّه فيما يَقْضي، ويَحْكُم به؛ إذْ هو سُبْحانَهُ يَقْضي له بحقِّهِ، وعلى مُخالِفه ومُعارِضه بما يَسْتَحِقُّه[1].

وثَمَّ وجهٌ آخَرُ في المُناسبَةِ بينَ الآيتَيْن، وذلك أنَّ اللّهَ تَعالى لمّا ذكَر ما يَدُلُّ عَلى عِلْمِه وحِكْمَتِه وعظَمَتِه وقُدْرَتِه؛ فرَّع عن ذلك الأمرَ بالتَّوكُّل عليه[2]؛ تنبيهًا على انْفِرادِه بالتَّوكُّل عليه لِكَوْنِه مُنْفَرِدًا بكَمال الأوصافِ المُتَقَدِّمة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَوَكَّلْ﴾: (وكل) تدلُّ تصريفاتُها عَلى اعْتِمادِ المَرْء على غيرِهِ في أَمْرِه[3]، والوكيلُ: الموكول، فعيل بمعنى مفعولٍ، والوكيلُ هو الحفيظ[4]، وهو الَّذي يقوم بأمر الإنسان، ويُقال: وكَل إليه الأمرَ؛ إذا سلَّمه إليه[5]، والتَّوَكُّل: إظْهارُكَ العَجْزَ واعْتِمادُكَ عَلَى غيرك، هَذا في عُرْف اللُّغَةِ، أمّا التَّوكُّل على اللّه؛ فهو الثِّقَةُ بِما عِنْدَهُ، واليَأْسُ مِما في أَيْدي النَّاس، ويُقالُ: المُتَوَكِّلُ عَلَى اللّهِ الذي يَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ كافِلٌ رِزْقَهُ وأَمْرَهُ، فَيَرْكَنُ إلَيْهِ وحْدَهُ، ولا يعتمِدُ عَلَى غَيْرِه[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 33.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 213.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وكل).
(4) الرّاغب، المفردات: (وكل).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (وكل).
(6) الزبيدي، تاج العروس: (وكل).

والمقصودُ بالتَّوكُّل في الآيةِ هو التَّوكُّل الشَّرْعيُّ على اللهِ سُبْحانَهُ، وحَقيقتُه: صِدْقُ اعتمادِ القَلْبِ عَلى اللهِ ﷻ في اسْتِجلاب المصالحِ ودفعِ المضارِّ مِن أمور الدُّنيا والآخرة كُلِّها، وكِلَةُ الأمور كلِّها إليه، وتحقيق الإيمانِ بأنَّه لا يُعطي، ولا يمنعُ، ولا يَضرُّ، ولا ينفع سواهُ[1].

2) ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: (بين) تدُلُّ اشْتِقاقاتُها على الظُّهور والتَّميُّز والاتِّضاح[2]، ومنه: المبين، وهو المُظْهِر المَوَضِّح الأشياءَ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: 23]، أي: بالأفق المُظْهِرِ المَوَضِّحِ الأشياءَ، وهو اتِّجاه طلوع الشَّمس[3].

ولفظُ (البَيْن) دالٌّ على البُعْدِ، ويُخرَّج الفعل (بانَ) - بمعنى الظهور - وذلك لتُمَيَّزَ الأمور حتّى تَفْتَرِق، ويَبينَ كلُّ واحدٍ منها عن الآخر[4]، والفعل (بان): فعل لازم، ويتعدّى بألف التَّعدية، فيقال: أبان، أي: أظهر، والمُبين هو البيِّنُ في ذاتِه والمُبين لغَيْرِه[5].

و﴿ٱلْمُبِينِ﴾ في قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾، أي: الظّاهرِ الواضِحِ، المتميِّز عنِ الباطلِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الأَمْـرُ بِالتَّوَكُّـلِ عَـلى اللهِ تَعالى في الأُمورِ كُلِّها

فاعْتَمِد - أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ - في كُلِّ أُمورِك عَلى اللهِ سُبْحانَهُ في اسْتِجْلابِ المَصالِحِ ودَفْعِ المَضارِّ مِن أمورِ الدُّنيا والآخِرَةِ، وثِقْ به، فإنَّه تَعالى كافيكَ، إنَّك على الحقِّ الواضح البيِّنِ الذي لا شَكَّ فيه ولا رَيْبَ[6].

(1) ابن رجب، جامع العلوم والحكم: 3/ 1266.
(2) الزبيدي، تاج العروس: (بين).
(3) مصطفى العدويّ، كتاب سلسلة التّفسير: 24/ 4.
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بين).
(5) الراغب، المفردات: (بين).
(6) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 384.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنى الفاءِ في ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ ودِلالَتُها:

لا يُتَوَكَّلُ إلّا عَلى كامِلِ الأَوْصافِ

الفاء في ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ مِنْ قول الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ حرفٌ دالٌّ على السَّببيَّة والتَّفريع، والمقصودُ: ترتيبُ الأمر على ما تقدَّم ذِكْرُه من شؤونِه سُبحانَهُ؛ لأنَّ الصِّفاتِ المذكورةَ توجِبُ على كُلِّ أحدٍ تفويضَ الأمورِ كُلِّها إليه سُبْحانَه[1].

دِلالَةُ الأَمْرِ في ﴿فَتَوَكَّلْ﴾:

وُجوبُ الاعْتِمادِ عَلى اللهِ تَعالى في تَبْليغِ الدّينِ وإحْقاقِ الحَقِّ

الفعلُ ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ مِن قولِ الله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فعل أمرٍ، وهو دالٌّ على وُجوب التَّوكُّل، على ما هو الأَصْلُ في دِلالَةِ فِعْلِ الأمر، فالآيةُ دالَّة على لُزوم التَّوكُّل على اللهِ سُبْحانَه وذلك بالاعتمادِ عليه في الأمورِ كُلِّها، ومِنْها: الاعتمادُ عليه في تَبْليغِ الدّينِ وإحْقاقِ الحقِّ وإرْشادِ الخَلق[2]؛ إذِ التَّوكُّل على اللهِ سُبْحانَهُ يورِثُ التَّوفيقَ والنُّصرةَ.

ودلَّ الأمرُ أيضًا على المُضيِّ في الدَّعوة، وعدمِ الحُزْنِ لحالِ هؤلاء المُعْرِضين[3]، وترقُّبِ نَصْرِ اللهِ ﷻ، فقد صارَ القضاءُ بينَهُ وبينَهُم إلى العزيزِ العَليم[4].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ التَّفَعُّلِ:

قـوَّةُ الـتَّـوَكُّـلِ دَليلٌ عَلى جَلالَةِ المُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ

الفعلُ ﴿فَتَوَكَّلْ﴾ مِن قولِ الله ﷻ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ على زِنَةِ التَّفعُّل، وهيَ صيغَةٌ دالَّة هَهنا على المُبالغَة[5]، والأمرُ بِقوَّة التَّوَكُّل أمارَةٌ على أهمّيَّة الأمرِ المُتَوَكَّل لأجلِه، وجَلالةِ المُتَوَكَّل عليه سُبحانَهُ وعَظَمَته.

---

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 261، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 213، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 299، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 33.

(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 356.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 495.

(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 581.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 33.

بلاغَةُ الكنايَةِ في الأَمرِ بِالتَّوَكُّلِ:

أداءُ النَّبيِّ ﷺ أَمانَةَ البَلاغِ

الأمرُ بالتَّوكُّل في قولِ اللّه سُبْحانَه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ مستعملٌ في حَقيقَتِه وكِنايَتِه، فأمّا حقيقتُه؛ فَلزومُ التَّوكُّلِ على اللّهِ سُبْحانه في الأمور كلِّها، وأمّا كِنايتُه؛ فَدِلالتُه على لازِمِ المَعْنى، ولازِمُ أَمْرِ النَّبيِّ ﷺ بالتَّوكُّل على اللّهِ تَعالى: أنَّه ﷺ قد أدّى رسالةَ ربِّه سُبحانَه، وأنَّ إعراضَ مَن أعرضَ عَن أمرِ اللّه تَعالى ليسَ بسبَبِ تَقْصيرٍ من النَّبيِّ ﷺ[1].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ باسم الجلالة ﴿ٱللَّهِۖ﴾:

كَمالُ العَدْلِ في القَضاءِ ونُصْرَةِ الحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ أَوْصافِ المُتَوَكَّلِ عَلَيْهِ

اختار النَّظم القرآنيُّ التَّعبيرَ بالاسْم الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِۖ﴾، في قولِه سُبْحانَه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾؛ وذلك لأنَّه الاسمُ الجامع لأوصافِ الجَلال والجمالِ والكَمال، ومِن تلك الأوصافِ الجليلةِ عدلُ اللّهِ تعالى في قضائِه، ونُصْرَتُه الحقَّ وأهلَهُ، وذلك ممّا يُغْري المخاطَبَ بقوَّة التَّوكُّل عليه سُبحانه، ويَحُضُّه على ذلك[2].

عِلَّةُ فَصْلِ جُمْلَةِ ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ﴾ عَمّا قَبْلَها:

مَن كانَ عَلى الحَقِّ؛ كانَ حَقيقًا بالنُّصْرَةِ والظُّهورِ

فُصِل قولُ اللّه تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ﴾ عمّا قبلَه؛ لوقوعه تعليلًا للأمر بالتَّوكُّل الواردِ في قوله سُبْحانَه قبلُ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۖ﴾، فكَوْنُ النَّبيِّ ﷺ على الحقِّ الظّاهر البيِّن علَّةٌ وسببٌ للتَّوكُّل على اللّه ﷻ؛ إذ مَن كان على الحقِّ؛ فإنَّهُ لا يخشى عقابًا ولا تضييعًا، فاللّه سبحانه يَكْفُلُه، ويرعاهُ، وينصره، ويكفيه ما أَهَمَّه[3].

مَعْنى (إنَّ) ودِلالَتُها:

صاحِبُ الحَقِّ حَرِيٌّ بِهِ أَنْ يَتَوَكَّلَ عَلى اللهِ تَعالى

صُدِّرت جملةُ التَّذييل في قولِ اللّه تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ بالحرف (إنَّ)، وهي تفيد معنى الفاءِ؛ إذا كان المقامُ مقامَ تعليلٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 33.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 214، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 34.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 383، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 269، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 571، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 299.

كما في هذه الآيةِ، ولا تفيد تأكيدًا، والحرفُ (إنَّ) ههنا مستعمَلٌ لإرادة الاهتمامِ بمَضْمونِ الجُملة بعده[1].

مَعْنى ﴿عَلَىٰ﴾ ودِلالَتُها في قَوْلِهِ: ﴿عَلَى ٱلْحَقِّ﴾:

جاء التَّعبيرُ بحَرْفِ الجَرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ للدِّلالة عَلى التَّمكُّن مِنَ الحَقِّ، وذلك لأنَّ ﴿عَلَىٰ﴾ تُفيد في أصلِ دِلالَتِها على مَعْنى الاستعلاءِ، فالنَّبيُّ ﷺ مُتَمَكِّنٌ مِنَ الحقِّ ظاهرٌ بِهِ، فتكون في الآية اسْتِعارَة، حيثُ شُبِّهت حالُ النَّبيِّ ﷺ في تَمَسُّكه بالحقِّ واسْتِقْراره عليهِ وتَمَكُّنه منهُ بحالِ مَنِ اعْتَلى شيئًا، بجامعِ مُطْلق التَّصرُّف، وذلك لأنَّ أفعالَهُ ﷺ لمّا كانت على وفْقِ الحقِّ ومُقْتَضاه؛ كان تصرُّفه في الحَقِّ كتَصَرُّف الرّاكب بما يَرْكَبُ عليهِ.

عُلوُّ مَنْزِلَةِ النَّبيِّ ﷺ بِاتِّباعِهِ الحَقَّ

وفيه أيضًا أنَّ النَّبيَّ ﷺ حصلَ لَهُ الاستعلاءُ؛ لِكَوْنِ منزلَتِه علَتْ، وارْتَفَعَتْ باتِّباعه الحقَّ.

دِلالَةُ (أل) في لَفْظِ ﴿ٱلْحَقِّ﴾:

عُرِّفت كلمة ﴿ٱلْحَقِّ﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ باللّام، وهي دالَّة على العَهْدِ، فالنَّبيُّ ﷺ على الحَقِّ من أمرِ الدّيانَة، وهي مفيدَةٌ أيضًا معنى الكمالِ؛ إذْ هو ﷺ على الحقِّ الكامل، والدِّلالَتانِ مُتَكامِلَتان؛ إذِ النِّكاتُ البلاغيَّة تتوارَدُ، ولا تَتزاحَمُ.

تَزْكِيَةُ اللهِ تَعالى لِنَبيِّهِ ﷺ

وفي الآيةِ شهادَةٌ عظيمَةٌ مِنَ اللهِ تَعالى لرَسولِهِ ﷺ بالعَظَمَة؛ لِما دلَّ عليهِ لفظُ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ مِن معنًى جامعٍ لحقائقِ الأشياء[2].

دِلالَةُ وصْفِ ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بـ ﴿ٱلْمُبِينِ﴾:

وُصِف الحقُّ بكونِهِ مُبينًا في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾؛ للدِّلالة على أَنَّ صاحبَهُ المُتَمَسِّك به ثابتٌ راسخُ الإيمان؛ لأنَّه مُسْتَمْسِكٌ بالحقِّ لا يعتريهِ شَكٌّ بوجهٍ من الوجوه[3]، وفيه دلالةٌ

الخَلَلُ في العِلْمِ والقَصْدِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبابِ تَرْكِ الحَقِّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 34.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/ 33.
(3) القنوجي، فتح البيان: 10/ 69.

على أنَّ تَرْكَ المُعْرضين للحَقِّ ليس بسببِ خللٍ في الدّاعي إلى الحقِّ، ولَكِنْ لِخَلَلٍ في مَدارِكِهم ومَقاصِدِهم، وإلّا فإنَّ مَن تأمَّل الحقَّ قاصدًا الوصولَ إليه؛ فلا بُدَّ أن يَتَبَيَّن له سبيلُ الهُدى[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُبين والظّاهِر:

بَـــيْنَ المُـبـيـنِ والظّاهِرِ عُمومٌ وخُـــصـــوصٌ وجْهيٌّ

يجتمع المبين والظّاهر في أصلِ معنى البيانِ، وهوَ الجلاءُ والوضوحُ، ويفترقُ المُبين في دلالتِهِ على التَّعديّ، وذلك أنَّ الظّاهر بيِّنٌ في ذاته، والمُبينَ مُظْهِرٌ لغَيْرِه.

ويدلُّ لفظُ الظّاهرِ على مَعْنى العلوِّ والرِّفعة، بخلافِ المبينِ، فإنَّه يدلُّ على التَّميُّز والجلاءِ، فيكونُ بينَ اللَّفظين عمومٌ وخصوصٌ مِنْ وجْهٍ.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 214.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»